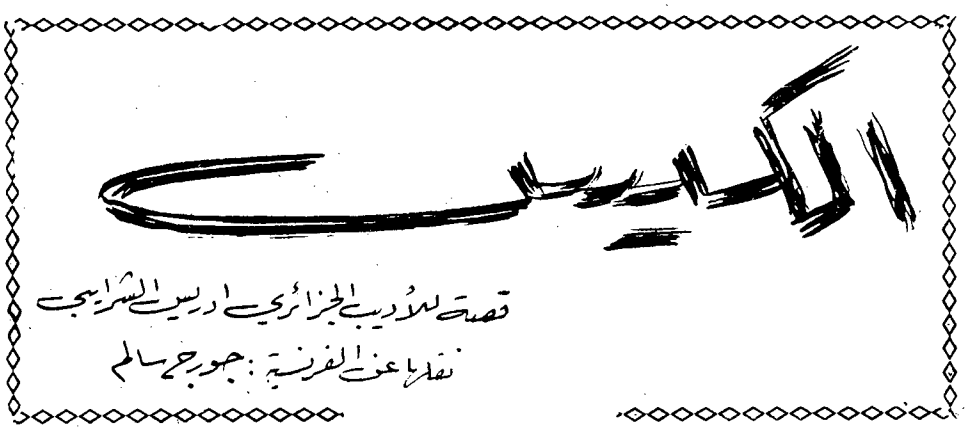

حين انتهى الى الارض الجرداء في الغابة سقط على ركبتيه ، على ركبتيه الداميتين ، وكان وجهه داميا أيضا . لقد اضاع احد حذائيه أثناء اجتيازه الطريق (أثناء هربه وانهزامه) . كان يلهث ككلب موقوف، واستحال ، ما كان يسمى البنطال او السترة او القميص نفسه الى اسمال ، مجرد اسمال ، منذ فترة طويلة . ولكنه اصبح الان في الارض الجرداء ، وهذا وحده ما له قيمة ، لقد خيل اليه أنه نجا .

ودعا بصوت مرتفع :

ـ ساقي ، لا تخذلاني يا ساقي ، لا تخوناني

واصغى بقوة ثم صرخ :

ـ من يتكلم ! من هناك

وعاد فأصغى من جديد . كانت حواسه كلها قد تحولت الى حاسة واحدة : السمع ـ ثم سأل بلهجة وحشية :

ـ هل من احد هنا ؟ اظهروا مهما كنتم . انني لا اريد بأحد سوءا. اصغوا الي : ان مسكينا مثلي لا يضمر الشر لاحد . اخرجوا مهما كنتم، متشردا او كلبا او دركيا . قلت لكم انني سمعت صوتكم . اني اعرف انكم هناك . اخرجوا ، هيا ، اخرجوا !

واجابته ضجة الغابة

وزمجر :

ـ ولكن بما انني قلت لكم انني سمعتكم تخاطبون سوقكم وتطلبون اليها الا تخونكم ، اخرجوا ،

في هذه المرة اجابته شظية ضحك ، وحين ادرك انه هو الذي يضحك امسك فكه بكلتا يديه وجمده كانه يضعه في كلابتين حتى غدت الضحكة صرخة الم . ثم كف عن الضغط وقال برزانة :

ـ ان بوجمعة لا يجن ، بوجمعة لا يضحك بل لا يبتسم ايضا ، فليس هناك ما يدعو الى ذلك. بوجمعة الذي يبلغ طوله مترا وثمانين سنتمترا ويزن ستين كيلوغراما اذا صح القبان ، كله جلد وعظام ولا يكاد يوجد فيه شيء من اللحم ، بل اعصاب كثيرة ، اكثر من اللازم ، اي صبر كصبر الجمل . انهض ، قلت لك ان تنهض !

واجاب بوجمعة وهو ما يزال يتحدث برزانة :

ـ لست استطيع ان انهض . انني متعب ، فانا أسير منذ ثلاثة ايام وثلاث ليال . ما الجمل ؟ ما الصبر ؟ قلت لك ان الجمل نفسه سيكون بحاجة الى النوم بعد سير ثلاثة ايام وثلاث ليال .

قال بصوت حاد :

ـ سيان عندي ان تنام او لا تنام ، ان لم تنهض فسأضربك ضربة لم تذق مثلها قط !

وابدى هو هذه الملاحظة :

ـ هيه ! اية فائدة ستجنيها من الضرب ، فلست استطيع انا ولا انت ان نتحرك من هنا طوال ثمانية أيام .

قال :

ـ اصغ الي جيدا ، هل تصغي الي ؟

ـ انني مصغ .

ـ اذا لم تشأ ان تنهض ، واذا لم يشأ اي عضو من اعضاء جسمي ان يرضى بمساعدة الاخر كي يعود الهيكل العظمي الى الوقوف ، فسيموت شخص ما هذه الليلة حتما .

ـ لقد فهمت هذا جيدا ، وكلنا فهمنا جيدا كاننا شخص واحد ، الساقان والذراعان والجذع والعظام ، الجلد .. وكل ما تصفه بالخيانة. ولكنني شرحت لك ، لقد شرحنا لك..

فصرخ :

ـ كلا ، لست ارضى بشيء من هذا . انني آمركم بان تنهضوا وتسيروا وتتابعوا السير ، في اي مكان ، حتى نصل الى الارض الجرداء الحقيقية ، هناك حيث تركنا الكيس .

ناجى بوجمعه نفسه طويلا على هذا النحو ، وهو يشتم نفسه ، ويشجعها ، ويكيل لنفسه ضربات قوية ، بقبضة يده . وحين عذب نفسه ما شاء ان يعذبها ، ادرك انه لم يكن يقف على قدميه كما كان يفعل ذلك اي جمل مريض من التعب ـ بل لم يكن جاثيا على ركبتيه كما ظن : بل كان ممددا على طول جسمه ، منبطحا .

الا انه كان يكرر في نفسه بانه نجا ، وانه اصبح الان في الارض الجرداء وهذا وحده ما له قيمة . انه ليذكر جيدا ، لا بذاكرته ، بل بكل لحمه وايمانه وشقائه ، انه وضع الكيس في احدى الاراضي الجرداء، وحين مضى يخب باحثا عن حليب بقرة او نعجة او فرس او اي حيوان يمكن حلبه في علبة كونسروة قديمة التقطت في احد شقوق الارض ، اجتاز ارضا جرداء غير هذه . وراح يحاكم الموضوع بهدوء منهجي كهدوء امه حين تعد على اصابعها . قال في نفسه « هانذا بعد ثلاثة ايام وثلاث ليال من المشي في ارض جرداء . ان النور لكاف بحيث استطيع ان ادرك ما في هذه الارض . لست ادري اهذا نور الفجر ام نور الغسق ، ولكنني استطيع حتى في هذه الحال التي انا فيها ، ان ادير راسي في كل الاتجاهات فادرك ان الكيس غير موجود في اي مكان هنا . ربما كنت اذن قد اجتزت الارض الجرداء الثانية حين ذهبت ابحث عن الحليب » .

وقال في نفسه ببطء ايضا كانه يتحدث الى مجرد روح ، وهو يستخدم كلمات عادية جدا ويفصل المقاطع جيدا ، ويكرر بملء ارادته كلمة او جملة بكاملها ، انه الان في الارض الجرداء الثانية ، وقد سقط فيها ولم يعد يستطيع ان يقوم باية حركة الا ان ينتظر ان يستريح

الخونة (ذراعاه وساقاه ...) خلال وقت كاف كي يتفوه باحدى الصلوات بفقرة من الشتائم لقد خلف وراءه الادغال القاطعة كأنها سكاكين لا تحصى ، والمستنقعات الموصلة حيث سقط في العشب ، وكلاب الحراسة التي لا يمكن تجنبها والتي تصارع معها فغلبها بعد صراع طويل ، ومنحدرات البراري والحظائر المغطاة بقطع الزجاج او المسامير او الاسلاك الشائكة ، او بالاغصان المنخفضة ، وهذا اسوأ ، تلك التي تصنع الوجه ، والتي انهدت تحته وفوقه حين اراد ان يجتازها ، والحجارة والحفر والظلمات والغم والضيق والضياع : كل ذلك قد اصبح الان خلفه ، بعيدا جدا ، قد ابعد الى ماض سحيق جدا ، كان في الارض الجرداء الثانية وكان قد نجا .

وحين قدر ان اعضاءه قد استراحت ، وقد استراحت جيدا رجاها ان تجعله يقف . لقد نبح فيها كي تجعله يقف . ولكن عظامه كانت من حجر فتوجه الى الارض ولمسها وادار عليها راسه الدامي وقبلها بملء شفتيه كأنه يقبل كائنا حيا .

وصلى :

ـ انت يا من ترقد فيك عظام الوعول المقتولة في الصيد ، وكلاب الصيد الميتة في اسرتها ، حركيني ، انت يا من يرقد فيك الغالبون والمغلوبون ، ما انا بالغالب ولا بالمغلوب ، ما انا بوعل ، بل ما انا ايضا بكلب ، حركيني وتحركي ، لا فرق عندي : ان تكون حركتك زلزالا او بركانا مفاجئا او انقلابا في سطح الارض ، او منجما منسيا لم يفجر الى الان ، لا فرق في ذلك ، ارجوك حركيني ، واقذفي بي كي اقف .

انشب اظفاره في الارض وضربها بقبضته ، وعضها . كان منذ فترة بعيدة قد بدأ ينشج ، دون ان يدري ، بنشيج صغير عذب جدا متواضع جدا ، وكان ما يزال يصلي :

ـ لقد خانتني ساقاي وخانتني ساعدي وعظامي ، وما في من عضلات واعصاب افخر بها . لقد خانوني كلهم ومع ذلك فقد غذيتهم دائما وكسوتهم بلياقة . لقد امضيت حياتي في اطعامهم واكسائهم وهذا كل ما في الامر . قولي هل فهمت ذلك ؟ هل تفهمين لماذا خانوني ؟ قلن بانهن استفدن قوتهن وتضرجن بالدماء وتقطعت اوصالهن كانهن طحن طويلا في طاحونة الاسمنت ولكن لا تصغي اليهن ايتها الارض : فهن جبناء . يقلن انهن بحاجة الى راحة ولكن لا تصغي اليهن ايتها الارض : فهن خونة .

وفجأة انتهى الى ما اراد دون ان يعرف كيف حدث ذلك ، فوجد نفسه ملقى على ظهره ، وسقط فوقه ما لم يكن راه حتى ذلك الحين كانما السماء كلها قد انقضت على رأسه ، فاغمض عينيه وتركهما مغمضتين برهة ، وهو يصلي بمزيد من الحرارة وحين فتحهما عاد فرأى ضوء القمر باردا معدنيا لايرحم .

وتمتم في نفسه :

ـ يا اله الاطفال من اي عرق كانوا ، اشفق على ولدي الذي يرقد في كيسه هناك في الارض الجرداء الاولى ، تحت ضوء القمر ، هذا الاقسى من اية ريح شمالية !

كانت ماري قد تبعته الى السقيفة .

قالت له :

ـ بوجمعة ، احذر مما ستفعله .

فالتفت ونظر اليها كأنه لم يرها قط . لم يكن هادئا ، كان فوق ما يسمى هدوءا او تعقلا ، لقد نظر اليها مرة واحدة .

خرجت من السقيفة راكضة تنبح ، واجتازت باحة الزريبة اثناء ركضها واجتازت الردهة وصعدت السلم الذي يفضي الى غرفتهما . اغلقت الباب بالمفتاح وازلجته ، واغلقت النافذة كذلك ووضعت الطاولة امام الباب ، والخزانة امام النافذة بكل قواها ، كي تكون في مامن من ان رجال الدرك سيصلون قبل ان يكسر الباب او النافذة ، والقت بنفسها على السرير واخرجت منه ابنهما النائم ولفته بين ذراعيها وظلت هنالك ، واقفة في وسط الغرفة ، في العتمة ، وهي ترتجف من الغضب .

دخل من الباب ، كانت ضربة واحدة من قدمه كافية لكي يهده . فدخل الغرفة وحين رأته عرفت انه اشد خطورة الان مما كان عليه منذ قليل وهو في السقيفة وانه ابعد بكثير عما يسمى هدوءا او تعقلا . ولهذا لم ترجه ولم تصرخ ولم تقل كلمة واحدة . لقد اعطته ولدهما . ولم يقل هو ايضا اية كلمة . تناول الطفل فوضعه في الكيس الذي حمله من السقيفة والقاه على ظهره ومضى .

خرجت من باحة قيادة الدرك بعد عشر دقائق سيارة تزمجر ، محملة برجال عليهم سيماء صائدي الرجال .

***

كان بوجمعة في الثلاثين من عمره حين التقى بماري ، ولكن كان يمكن ايضا ان يكون قد بلغ الستين كابيه وكان يقول انه اكل وشرب ما يدعونه بتجارب الحياة ، وعجنها وهضمها حتى انه لم يعد له اية رغبة فيها ، فاصبح دائم القلق ، وهو الذي اندفع الى الحياة في العاشرة او الثانية عشرة من عمره بضحكة كبيرة .

لقد شرحوا له ان الحياة صنعت على هذا النحو ، وان كل تجربة فيها يجب ان تعتبر درسا نافعا . ولم يفهم بوجمعة شيئا من هذا الكلام العي . كان يفهم يديه وفائدتهما وعملهما . انه يفهم الاشياء الملموسة والمحسوسة . كان يعرف ما هي قطعة الخبز او قطعة اللحم او زوج من الاحذية . كان يعرف ايضا مقدار العمل الذي عليه ان يقوم به ليستحق قطعة الخبز هذه وقطعة اللحم هذه وزوجا من الاحذية . كان يفهم ذلك حق الفهم . اما ما عداه فلم يكن يعنيه وكان يحدث له احيانا وهو يحلب البقرة او يقطع الحطب ان يتذكر تجاربه ويتساءل في نفسه هل عاش هذه التجارب حقا .

لم يكن له ماض يوم بلغ الثلاثين من عمره . كان ماضيه اباه

صدر حديثا :

المهزومون

بقلم

هاني الراهب

موهبة روائية جديدة تبزغ

في سماء الادب العربي الحديث

الثمن ٣٠٠ ق.ل ـ ٣٧٥ ق.س

دار الآداب

وامـه . وكان قد تركهمـا هنالك ، في الجهة الاخرى من البحر ـ لقد مر على ذلـك زمـن طويـل حتى انـه لم يعد يذكر من ابيه الا لحيتـه وسبحته ، اما كل ما كان يتذكره من امه فقدمان عاريتان . وما قيمـة التجارب في غضون ذلك ؟ هل ازدادت اسنـانه واضراسه فأصبحـت اربعين بدلا من اثنـين وثلاثين ؟ على العكـس ، فقـد اضـاع سنـين فـي احدى المشاجرات .

كان بوجمعـة قد فطر على هذا النحو . ذلك بانه اذا وجد فـي وضـع صعـب او واجـه مشكلة عليه ان يحلها فقد كان يؤثر الهرب ، ولهذا فحـين التقـى بماري للمرة الاولى فكر فـي الهرب .

قال لها :

ـ لا اريـد مشاكـل ، فانا عاجز عن حلها . اصغي الي : انـني استخدم هنالقطاف التفاح ، وانـت تاتـين كل ربع ساعة لتحملي السلال التي املاها . ان هذا لواضح لا لبس فيه . اما ما فيه لبس كان لا ادعى بوجمعـة ففي انك ما تزالين هنا الى الان بينما كـان علـي ان اكـون نائمـا عنـد جذع هذه الشجرة اتمتـع بقيلولتي ، وكـان عليـك انـت ان تكونـي في مكان لا اعرفـه ، وليس هنـا على كـل حال ، اقول لك : اذا كنت احدى تلك المشاكل فسأمضي حالا ، دون ان اطالب بحسابـي .

فسالتـه :

ـ ماذا تدعـى ؟

قال لهـا :

ـ بوجمعـة ، وهذه هويتي ، انني لم ارتكب اي ذنب .

وآثرت ماري ان تقتصر على ذلك ـ وحسنا فعلت ، لان بوجمعـة زعـم بعـد لحظـة انـه سيحطمها قطعتين . كان معلقا على اعلـى اغصان شجرة تفاح هرمة تذكره على نحـو غامض بابيه. وكان يحدث الريـح بان عليه اما ان يهرب من هذه المراة او يحطمها قطعتين . لانساء يا بوجمعـة ، ابدا . ان المراة هي جملـة مشاكل . هل تفهم ما اقول يا بوجمعـة ؟

ومع ذلـك فقـد راها بعد ثلاثة ايام وبدا انـه عاجز لا ان يهرب منها وحسـب بل ان يحرك احدى اصابعه ايضا . كان ذلك في المساء ، فـي السقيفـة ، كان مـن عادتـه ان يتسلق الاشجار عاري القدمين ، وكان قد جاء الى السقيفة ليحضر الكيس الذي وضع فيـه حـذاءه وحـين دخـل استقبلته شفتا ماري .

وبعـد ذلك بزمـن طويـل حدثهـا مـن غـير مواربة . قال لها :

ـ اصغـي الي يا ماري . لقد جئت الى هذا البلد لان علي ان آكل . لسـت مـن عرقـك ولا مـن دينك واني لاعتذر لان عقليتي ليست بالعقليـة الاوروبية . انـني لا اسبب مشاكـل لانسان ، وحـين تعترضنـي المشاكـل فانا امضـي كحصان يجري خببا . هل فهمت ذلك؟

قالت ماري :

ـ نعم ، ولكن لماذا تتحدث الان عن الرحيل ؟ اننا لم نكد نتعارف .

فعاد يقول بصوت وقور :

ـ اصغي الي جيدا يا ماري ، انني صريح وبسيط كالخبز ، وبدائي ككومة الشعير هذه التي ننام عليها . اصغي الي جيـدا : اذا كنت تبحثين عن اللهو فسأشتري لك لعبة ، اية لعبة كانت بأي ثمـن كان ، فانـا أكسب في يومي كسبا طيبا .

سألته ماري :

ـ لماذا ؟ أتعتقد حقا انني فتاة صغيرة ؟

قال لها :

ـ اصغي الي يامارى : اذا كنت لاتبغين اللهو معي فقولي ذلك بصراحة فاذا كان الامر جدا فانا اريد ان تكون الامور واضحة منذ الان ، دون ان يحدث قط شيء مفاجيء قد يصبح مشكلة .

ـ انني جدية كاكثر مايكون الجد ، ولكن لماذا تتحدث عن المفاجات والمشاكل ؟

ـ لا انني لا استطيع ان اتغلب عليها . اصغي الي جيدا يا ماري : مادامت لي هاتان اليدان فباستطاعتي ان اؤمن الخبز واللحم والخضار والثياب والمسكن والتدفئة مدة طويلة . كل ما اطلبه منك ثقة بسيطة وصريحة بساطة الخبز وصراحته . انني لا اشرب الخمر ولا ادخـن ولا اتربص باحد في المنعطفات . ان وجهي اليوم سيكون وجهي فـي الغد وحين اقول شيئا فانما اقوله دون اية فكرة مسبقة . انني مخلـص كاحسن مايكون الاخلاص .

ـ سأكون مخلصة لك كذلك .

ـ اصغي الي يامارى ، هات يدك وضعيها في يدي . أرايت هاتين اليدين ، قولي لي هل ترينهما ؟

ـ نعـم .

ـ حسن . في اليوم الذي ترفض فيه يدك ان تكون في يدي لسبب من الاسباب فسأذهب . لن افعل لك شيئا ، ولن اقول كلمة ، سأذهب وحسب .

ـ هل تحبني كل هذا الحب اذا ؟

اجابها بو جمعة :

ـ احبك ؟ بل انني لاحب هذه الكومة من الهشيم نفسها . قلـت لك : ان اليوم الذي ترفض فيه يدك ان تكون في يدي لسبب من الاسباب سأوثر في ذلك اليوم ان اعود الى بيتي وانطوي على نفسي .

ـ ولكن لماذا تتحدث على هذاالنحو ؟ ان كلامك لمحزن . .

ـ اصغي الي جيدا يا ماري ، اصغي الي للمرة الاخيرة . انـني رجل لا ماضي له ، وكنت واثقا قبل ان اعرفك بانني سأغدو من غيـر مستقبل . اما الان فهناك انت ، وهذا كان قد اصبح لي اخر الامر روابط في كل مكان ، في ماضي ،وفي مستقبلي وفي حاضري . انني لا اعرف

ـ التتمة على الصفحة ٧٣ ـ

أعطنا حبا

الديوان الاخير للشاعرة المبدعة

فـدوى طوقـان

الثمـن ٢٥٠ ق.ل

دار الآداب

الكيس

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٩ ـ

كيف اعبر عن فكري بالكلمات ، ولكنني في اليوم الذي افقد فيه هذا الايمان ... الافضل الا افكر في ذلك .

***

رمى الكيس فوق ظهره ثم نزل السلم واجتاز باحة المزرعة ، وسلك الطريق التي تفضي الى القرية وحين بلغ مفترق الطرق حيث ينتصب تمثال المسيح الساهر على المدينة استدار على عقبه وهو يستنشق الهواء ويبحث عن الشمس . قال في نفسه : « لم اذهب الى المدرسة ، ولكنني ولدت على تخوم الصحراء ، والناس على تخوم الصحراء يعرفون كيف يسيرون مهتدين بوضع الشمس والنجوم . ان النهار لم ينقض بعد واذا استطعت أن اضع بقعة مضيئة في السماء علامة ، فان ذلك يكفيني كل الكفاء . »

ورأى في الواقع بقعة مضيئة فاولاها ظهره . وراح يجهد في الوصول الى ارضه الام سيرا على القدم وطيرانا . واحصى ثروته في ذهنه : ثلاث ورقات من فئة ١٠٠٠ فرنك في محفظته بين هويته وصورة لخروتشيف مقصوصة من احدى الجرائد ، وهو نفسه لم يكن يدري متى اقتطعها ولماذا ، وورقة من فئة ٥٠٠ فرنك وورقتان من فئة المئة فرنك في جيب سترته ، وقطع من فئة المئة ومن فئة الخمسين فرنكا يبلغ عددها الثماني او العشر في الجيب الايمن من بنطاله ، وبعض القطع الصغيرة . وحسب الحد الادنى ٤٠٠٠ ـ والحد الاقصى ٤٣٠٠ فرنك وقال بان من الحكمة في مثل وضعه بالا يحسب ان معه غير ٤٠٠٠ فرنك ووزع هذا المبلغ كما يلي : ٣٠٠٠ فرنك لاجتياز الجسر دون زيادة قرش واحد . خمسمئة فرنك ثمن حليب للطفل علما بان الزجاجة تتسع لمئتي غرام وان الطفل يحتاج الى خمس زجاجات يوميا خلال خمسة ايام من السير ، لقد قدر كل شيء تقديرا جيدا ، ويبلغ ذلك عشرة ليترات من الحليب بسعر الليتر ٥٠ فرنكا ، والفرنكات الخمسمئة الاخيرة للطفل في حالة الطوارىء ،ولكن لن يكون هناك حالة طوارىء والا فانه ليس بو جمعة . وقال في نفسه ايضا وهو يقضقض احد فكيه بالاخر ، بانه كان محظوظا : فقد رأى فوق حلقة البئر حين خرج من السفينة زجاجة حليب ومصاصة كأنها كانت تنتظره فوضعها في جيبه .

قام بكل هذه التقديرات بعناية شديدة وثبتها تثبيتا نهائيا كأنه يكتب وصيته . ثم كف حرفيا عن التفكير ، ولم يعد الا ساقين طويلتين نحيلتين ، عصبيتين ، ترتفع الواحدة بعد الاخرى بانتظام كانتظام عنفة الدولاب ، فتقطعان الحقول وتجتازان الحظائر والمنحدرات والشجيرات والجداول والحيطان المتهدمة ـ ولم يكن الغضب هو الذي يحركه ـ فلقد ولد الغضب ومات في اللحظة نفسها بعد ظهر هذا اليوم حين دخل السقيفة وهو عائد من الحقل ليبحث عن مخلاة الفرس فوجد ماري في السقيفة . وبتعبير اصح فقد ولد غضبه ومات ثم عاد فولد ليموت سريعا كنار لم يحسن اشعالها ، بينما كانت ماري تنهض والرجل يتناول فأسا ويرميه بها بكلتا يديه . أمسك بو جمعة بهذه الفأس ورماها فوق رأسه وقبض على الرجل ورماه كذلك فوق رأسه بينما كان غضبه يصعد وينزل بضجة منفاخ الكور . ولم يقل بعد ذلك اية كلمة لماري بل لم ينظر اليها ايضا . تناول المخلاة وحشاها شعيرا وركض ليربطها برقبة الحصان ، وحين راه يأكل وهو ينخر ويزفر من منخريه ، وخزته شفقة هرمة ، هرمة جدا ، على هذا الحيوان الذي جر عربة ثقيلة بهدوء منذ الصباح ، والذي يأكل شعيره الان بهدوء مماثل . فأحاط رقبته بذراعيه وسأله ان يغفر له غضبه .

***

كان الليل يخيم حين دوى اول صراخ للطفل في ذلك المساء . فوضع بو جمعة الكيس ونزع سترته وبسطها على الارض في مكان لا حفرة فيه ولا حصى ، وسحب ابنه من الكيس وهدهده هنيهة ثم اضجعه على السترة وراح يغير له . لم يكن قد احضر له معه اقمطة ، اما تلك التي كان الطفل ملفوفا بها فلم تكن شديدة البلل . ولكن بوجمعة اخرج طرف قميصه ومزقه بضربة واحدة . لم يكن معه تالك او ماء للتنظيف الا انه قال في نفسه انه سيجد في الموقف التالي صيدلية او مستودع ادوية حتى ولو اضطر الى ان يسير في خط مستقيم . وقبل ان يقمط ولده شم طرف قميصه فغبط بفسه انه لبس قميصا نظيفا البارحة . وظل وهو يضرب رأسه بقبضة يده . وصرخ :

ـ هذا ما لم أتوقعه ، هذه هي مشكلة المشاكل . الحليب . نعم، الحليب : ايها الابله !

نهض بو جمعة ونظر بانتباه الى ماحوله . فلحظ انه في ارض جرداء . كانت السماء خالية من الغيوم وكان هنالك ايضا شيء يشبه سحابة متخلفة من الضياء . اقتفى اثار اقدامه وكسر غصنا وركزه عند اخر اثر من اثار اقدامه . وفي هذه اللحظة صرخ الطفل للمرة الثانية .

والواقع انه راح يبكي بدءا من هذه اللحظة . فقد بكى في ذراعي والده ، وبكى وابوه يهدهده هدهدة القبيلة التي كان يغنيها له . واستمر في البكاء حين تحدث اليه بو جمعة حديث رجل لرجل ، وهو يقول له بانه يعرف لا شك ان له مقاومة ابناء جنسه رغم صغره ، وان كل طفل في مثل عمره يبكي مثله من الجوع ، وانه يعرف كيف يكون جوع الشباب ، فاولى به ان يتخيل كيف يكون جوع طفل ، وانه يفهم ذلك جيدا ولكن فليكف عن البكاء قليلا ، انه لا يطلب منه الا ان يكف قليلا فقط ، بحيث يستطيع ان يعيده الى الكيس ويمضي باحثا عن بقرة او غنمة او فرس . ولم يدر بو جمعة قط هل جهل اله الاطفال والناس المعذبين هذا الطفل وهو في شهره السادس يسمع صوته ـ او كان صوته ذاته الذي أثر عليه كأنه داء منوم . كان قد نام حين اعاده الى الكيس . ولم يسمعه بو جمعة يبكي من بعد حين اجتاز الارض الجرداء ، ولكن اذنيه ، حتى حين كان في قلب الصحراء ، كانتا ، تعبير حرفي ، خلفه ، وهو متيقظ لاقل صراخ كي يعود ادراجه فيأخذ الطفل بين ذراعيه ويحمله ليشرب توا من ضرع البقرة او النعجة او الفرس . ولم يتوقف عن الاصغاء الى ما وراءه الا حين بلغ المزرعة . ووجه سمعه كأنه كلب اصيل نحو ضجة البناء ، وحين عرف ان هناك زريبة تنفس

صدر حديثا

أبيات ريفية

بقلم عبد الباسط الصوفي

قصائد رائعة للفقيد الذي

كان نسيج وحده في عالم الشعر

الثمن ٣٠٠ ق.ل ـ ٣٧٥ ق.س

دار الآداب

الصعداء ومسح وجهه بظاهر يده ولبث مأخوذا : ذلك بان مامسحه كانت دموعا ، وعرف انذاك انه لم يكف عن البكاء منذ ان خرج من الارض الجـــرداء .

وحدث ذلك على النحو التالي : كان اول ما رآه الفلاح حين دخـل الى الزريبة مع مطرقته وبندقيته دموع هذا الرجل المقرفص الذي كـان يحلب البقرة السوداء في علبة الكونسروة . كانت دموعا كبيرة كقطرات الرصاص الذائبة . وتساءل بعد لحظة لماذا احضر معه سلاحين – وحين رأى رأس الرجل ، وكان رأسا مميزا لاهل شمالي افريقيا ، أسف لانـه لم يحضر ثلاثة اسلحة .

قال له بو جمعة :

– سأدفع لك خمسين فرنكا ثمن الليتر ، انه لولدي الذي يرقـــد هناك في الارض الجرداء .

فصرخ الفلاح بدهشة :

– أانت الذي ...؟ يا الهي !

وخرج من الزريبة بقفزة واحدة وكان السهل كله بعد لحظة يـدوي بطلقات البندقية .

تساءل بو جمعة في نفسه :

– ولكن لماذا ؟ لمـاذا ؟

خرج هو ايضا بقفزة واحدة ، ولم يلبث ان وقع على ألعاب ناريـة حقيقية : كانوا يطلقون النار في تلك اللحظة من كل الاتجاهات . وكـان الفضاء المرن مؤلفا من الصرخات ودعوات الاستنجاد ونباح الكلاب .

تساءل بو جمعة :

– ماذا هناك ؟ أهي الحرب ؟ ان كانت الحرب فانها لاتعنيني ، ان عندي الحليب الان وعلي ان احمله الى ابني بأسرع مايمكن .

نادى الفلاح كي يدفع له ثمن الحليب وأوشك ان يصاب بطلقـة في رأسه فوضع بسرعة كبيرة قطعة من النقود على عتبة الزريبة ومضى في اتجاه الغابة .

* *

لقد مضت عليه فترة طويلة وهو يمشي . سيستطيع حين يصبـــح الصباح ان يستدل ببقعة مضيئة في السماء . سيعرف انذاك اين موطنه الاصلي . الا انه لايعرف ، حتى لو طار ، أين توجد الارض الجرداء .

كانت ثيابه ممزقة ، وكانت تسيل على وجهه قطرات من الدم وكان يظلع في مشيته لانه فقد احد نعليه .

القى علبة الكونسروة في اليوم الثالث حين خيم الليل . ولكنه القاها فارغة . كان الحليب قد فسد فشربه بو جمعه فقد كان ظمآن .

* *

كانت الحرب فيما حوله فعلا . رجال الدرك وفلاحون ونفوس كريمة كان هناك اكثر من الف انسان يصطادون الانسان . وكان هناك صحفيون تعوزهم النسخ ومصورون ، بل لقد وصل ايضا مراسل الاذاعة مـــع ميكروفون وسيارة ستوديو . كان البلد كله ينتظر اخبار الطفل «الموضوع في الكيس» وكان الناس يتهامسون بأشياء غريبة عن ابيه ، بأشيـــاء رهيبة .

انتهى الاب الى الطريق العام في نهاية الليلة الثالثة فألقى بنفسه على بطنه كأنه دودة . لقد ارادوا ان ينهضوه الا انه كان يصرخ من الالم . كانت عيناه مغلقتين ورجلاه صقعتين . كبلوه بالاغلال وجروه حتى مفرق الطرقات هناك حيث سيارات الصحفيين وسيارة الاستوديو . ولما فتح بو جمعة عينيه ورأى كل هؤلاء الناس حوله يتحركون كأنهم خلية نحـل هائجة ، قال :

– ان هذا رهيب مع ذلك ! كل هؤلاء الناس قد ازعجوا انفسهم كي يساعدوني على ايجاد ابني ! وليقل بعد ذلك بأنني سأعود الى مسقط رأسي ، كأن لم يعد لي ماأؤمل به هنا !!

ترجمة جورج سالم

الاديب وصناعته

*

وَصَفَ بَعضُ النُّقادِ هٰذا الكِتابَ بأنَّه أهمُّ مَجموعةٍ مِن أحدثِ الأبحاثِ في فنِّ الكِتابةِ وصِناعةِ الأدبِ. فقدْ شاركَ في عَقدِ هٰذهِ المَنظومةِ عَشرةٌ مِنَ الأدباءِ والنُّقادِ البارزينَ بعشرةِ أبحاثٍ يتناولُ كلٌّ منها جانباً مِن جوانبِ حِرفةِ الكِتابةِ وصِناعةِ الأدبِ.

فعالجَ لوفت موضوعَ "الأدبِ والإيمانِ بالحياةِ" وعالجَ مكس بيستمن موضوعَ "الأدبِ في عصرِ العِلمِ" وعالجَ هازلت موضوعَ "الصِّراعِ بينَ الأدبِ كأدبٍ والأدبِ كرأيٍ" وعالجَ رانسوم موضوعَ "الشِّعرِ كلغةٍ بدائيةٍ" وتناولتْ ماري كولم موضوعَ "الطريقةِ الحديثةِ في الأدبِ" وتناولَ سترتشر بيرت موضوعَ "زيفِ الواقعيةِ" وتناولَ آدامز موضوعَ "مسؤوليةِ الأديبِ" بينما تناولَ ماتيسن موضوعَ "مسؤولياتِ الناقدِ" وتناولَ مارك فان دورن موضوعَ "أهميةِ الشعرِ الممكنةِ" وتناولَ هوراس غريفوري موضوعَ "الفنِّ الدرامي في الشعرِ" وذلك في شكلِ محاضراتٍ استلزمتْ من كلٍّ منهم دِقةً بالغةً في البحثِ وإحاطةً شاملةً بجوانبِ الموضوعِ مما جعلَ هٰذهِ المجموعةَ مُستكملةً أسبابَ إقامةِ الصِّلةِ بينَ القارئِ العربيِّ وأحدثِ التياراتِ والمعالجاتِ والاتجاهاتِ الأدبيةِ العالميةِ

كتاب جدير بالقراءة